

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين، ((اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلاً)).

وبعد :

كانت صلتي بالأدب الأندلسي منذ سنوات دراستي الأولى، وكنت ولم أزل أشعر بإحساس غامض يملكني كلما قرع سمعي لفظ الأندلس ذلك الفردوس المفقود، يشوب ذلك الإحساس الحزن تارة والفخر والاعتزاز تارة أخرى.

ولعل مرد ذلك الشعور يعود إلى أننا نعيش أوضاعاً مشابهة لما أصاب العرب والمسلمين في الأندلس من احتلال للاوطان وتشريد للسكان خاصة في أرض فلسطين.

أشعر بالحزن عندما أتذكر المآسي التي حاقت بالعرب والمسلمين ليس بسبب ضعفهم فقد كانوا أقوياء، وحضارتهم من أعظم الحضارات، وإنما مرد ذلك الى التناحر والتنازب والإختلاف الذي أدى إلى انكسارهم وضياع ملكهم.

وأشعر بالفخر عندما اطلع على ذلك التقدم الرفيع الذي بلغته حضارة الأمة في ذلك الصقع النائي خلف البحر من بلاد أوروبا والتي ما تزال معالمها شاخصة للعيان، تذكر بمجد غابر وعز دائر يشهد لهذه الأمة بسمو حضارتها وإنسانيتها.

ولقد شاء الله - عز وجل - أن أختار هذا البحث وفي هذا العهد بالذات؛ ذلك أنني قد استعرضت مراحل الأدب الأندلسي منذ الفتح وحتى نهاية حكم العرب في الأندلس فوجدت بجوئاً قد كتبت عن أدب الحرب في مختلف الفترات، فكانت هناك رسالة في أدب الجهاد في عصر المرابطين، ورسالة في عصر الموحدين وأخرى في شعر الجهاد في عهد دولة بني الأحمر آخر حكام الأندلس والتفت إلى عهد الفتح والخلافة فوجدت أن موضوعاً فيه قد أنجز ورأيت أن هذا العهد لم يؤلف فيه كتاب في أدب الحرب فيما أعلم، فأردت أن أكمل تلك الحلقة لتتم السلسلة على الرغم من اضطراب تاريخ

هذا العهد وغموض بعض جوانبه، وليس هذا هو السبب الوحيد في الإختيار فإن هناك جملة أسباب أخرى منها رغبتني في المساهمة في إحياء التراث بهذا الجهد المتواضع والإعتراف بفضل أدبائنا ومفكرينا ومؤرخينا الذين أشادوا صرح حضارة لم تبلغ مكانتها بعض أمم الحضارة الحديثة إلى يومنا هذا.

وعلى الرغم من الضعف السياسي الذي ساد الأندلس في هذا العصر إلا أن الإجماع منعقد بين مؤرخي الأدب على أن هذا العصر كان من أزهى عصور الأدب العربي في الأندلس إن لم يكن أزهاها على الإطلاق؛ فهو عهد نضوج الحضارة العربية، وعهد جني ثمارها بعد مسيرتها الطويلة، تلك الثمار التي تفاعلت مع البيئة فكانت لها خصوصيتها. كما أن الرغبة تحدوني في محاولة إبراز دور الأدب في مواكبة الأحداث الجسام التي مرت بالأمة وأثره الفاعل فيها ودفع تهمة وُصِم بها الأدب مفادها: أنه لم يتم بدور ذي بال في هذا العهد، فعقدت العزم متوكلاً على الله واضعاً نصب عيني الأمانة العلمية وتحري الحقيقة، والتزام الموضوعية، مجتهداً في تحقيق ذلك قدر استطاعتي.

لقد كانت هناك بحوث تناولت تاريخ الأدب في هذا العهد مرتبطاً بعصر المرابطين وعلى الرغم من أهميتها وتقديرنا لجهود أصحابها فإنها لم تمس هذا الموضوع بشكل مقصود وإنما كان ذلك في سياق موضوعات أخرى، ولعل من أهم هذه الدراسات كتاب الدكتور إحسان عباس، (تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين)، و (عصر سيادة قرطبة)، ودراسة للدكتور صلاح خالص عن (المعتمد بن عباد)، وفصل عن شعر الجهاد والمعارك الحربية للدكتور منجد مصطفى في كتابه (الإتجاه الإسلامي في الشعر الأندلسي) تركز حول المرابطين، وهناك كتاب للدكتور حازم عبدالله خضر باسم (النثر الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين).

وقد اطلعت على كثير من الدراسات الحديثة، مما له علاقة بأدب الحرب، في مختلف العصور فأفدت منها، ما أنار لي سبيل البحث، ولم أدخر جهداً في استقصاء كل ما له صلة ببحثي.

لقد تناولت في بحثي هذا أدب الحرب فيما بين (٣٩٩-٤٨٤) وعينت بأدب الحرب ما يمت الى الحرب بصلة من الشعر والنثر، وقد اقتضى البحث ان يقسم إلى تمهيد وثلاثة فصول وخاتمة.

وفي التمهيد قدمت بين يدي عهد دول الطوائف عرضاً تاريخياً مجملماً لما انطبع في نفسي عن التاريخ العربي الإسلامي في الأندلس وخاصة عهد الخلافة موثقاً ذلك بالمصادر والمراجع، ثم عرضت إلى كيفية قيام دول الطوائف واحوال النزاع المستمر بينها والذي لعب دوراً كبيراً في اضعافها أمام أعدائها من أمم الفرنجة المجاورة، والتي كانت تتربص بهم الدوائر، مستفيدة من ذلك النزاع المؤسف بينهم.

وفي الفصل الأول: تناولت أثر الحروب والصراعات الداخلية في الأدب وجعلته في ثلاثة مباحث :

البحث الأول: تناولت فيه موضوعات أدب الحرب في القسم الأول من عهد دول الطوائف الذي يبدأ من ٣٩٩ هـ - ٤٢٢ هـ، وقد نحا الأدب منحى سياسياً في هذه الفترة لاعتماد المتصارعين عليه إلى جانب اعتمادهم على القوة العسكرية، وكان للرسائل الأدبية دور كبير فاق دور الشعر لحاجة الدولة الى ذلك.

والمبحث الثاني: عرضت فيه موضوعات أدب الحرب في القسم الثاني من هذا العهد والذي يبدأ من سنة (٤٢٢ هـ) وينتهي بزوال هذه الدويلات على يد المرابطين سنة ٤٨٤ هـ، وقد كان لبني عباد - حكام إشبيلية - النصيب الأوفى من أدب هذا العهد حيث واكب حروبهم مع منافسيهم ووقف منهم موقف المؤيد، وفي حديث الادب عنهم ما يتضمن الحديث عن سواهم من امراء الأندلس فان بني عباد كانوا أعظم أمراء الأندلس، وكانوا قطب الرحى في الأحداث.

وفي المبحث الثالث: تناولت الأدب المناهض للصراعات الداخلية والداعي إلى وحدة الصف ونبذ الخلافات، وقد كان هذا الأدب يمثل في حقيقته ضمير الأمة، ويعبر عن الغيرة على مصالحها وهو على الرغم من قلة أمثلته خاصة في الشعر فإنه يشير بكل تأكيد الى الروح الأصيلة التي تكمن في هذه الأمة في مختلف حياتها، في ضعفها وفي قوتها،

وهو دليل خير يؤكد حيوية الأمة ورسوخ جذورها، وقدرتها على تخطي الصعاب، ويبين أن ما يحدث بين أبنائها من خلافات لا تلبث أن تزول بفضل حكمة أبنائها.

والفصل الثاني: تناولت فيه دور الأدب في الصراع مع الفرنجة، وقد حاولت من خلاله أن أوضح دور الأدب في استنهاض الهمم، والحث على الجهاد، وتدارك أوضاع الأمة من خلال الدعوة إلى تلاحم الصفوف، وقد تفاعل الأدباء مع الأحداث وكان دورهم مهماً في بث الحمية العربية والإسلامية في النفوس للتصدي لخطر الهجمة الصليبية على الأندلس مما ستيبته في هذا الفصل.

وأما الفصل الثالث: فكان لدراسة الخصائص الفنية لأدب الحرب في هذا العهد، وقد تناولت أبرز السمات الفنية التي اتصف بها الأدب، تاركا السمات الجزئية جانبا لأن البحث المحدود بصفحات ينوء بمثلها.

وقسمت هذا الفصل الى مبحثين تبعاً لطبيعة المادة :

أ. الشعر: وتناولت فيه بناء القصيدة، الألفاظ، الإرتباط بالتراث، والعناية بالبديع، والصورة.

ب. النثر: وتناولت فيه أيضا أقسام الكتابة، والاستهلال، والاطناب والايجاز، والارتباط بالتراث، والعناية بالبديع، وألفاظ النثر.

وأما الخاتمة فقد تناولت نتائج البحث التي توصلنا إليها، واتبعت ذلك بالمصادر والمراجع.

وقد توخيت في دراستي الإنطلاق من النصوص التي بين يدي وكنت ألبأ الى التاريخ عندما تقتضي الضرورة ذلك ويقدر ما يوضح المقصود؛ فليس التاريخ هو الغاية المقصودة وكانت النصوص من صميم الفترة والأدباء كلهم ممن عاشوها أو امتد بهم العمر الى ما بعدها، ولم استشهد في بحثي بنص مجهول او مشكوك في نسبه الى هذا العهد، ولم اخرج عن هذه القاعدة إلا عندما يقتضي السياق ذلك وهو ما ندر.

وأما الصعوبات التي اعتاد الباحثون أن يذكروها، فهي خاصة وعامة فأما الخاصة ففي ذكرها للمخلوقين مثلثة للرجولة ودليل ضعف، وأما العامة أوما يتعلق منها

بالبحث فلعل قلة المادة وغلبة الجانب التاريخي وما اقتضاه ذلك من قراءات موسعة في تاريخ الفترة، وصعوبة الحصول على بعض المصادر أحيانا، وعدم ذكر مناسبة النصوص أو أسماء قائلها كانت على رأس تلك الصعوبات، وقد استطعت تذليلها بالجهد المتواصل والصبر الجميل. وإني إذ أقدم هذا البحث المتواضع ثمرة جهد متواصل استغرق كل جهدي وتفكيري وأسهر ليلي، وشغلني عمن كلفت برعايتهم لأرجو الله جلت قدرته أن لا يجعل حظي منه مجرد التعب والسهر والنصب وأن يحسن فيه النية ويكمل بعفوه عن زللنا المنة !.

والحمد لله رب العالمين

محمد حسين أبو رُقَيْق